الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجـامعي عبد الحفيظ بوالصوف ـ ميلة
معهد الآداب واللـــغات **قسم اللغة والأدب العربي**
المستوى: سنة أولى ليسانس **المادة: نقد أدبي قديم 2. أعمال موجهة**
أستاذة المادة: د/ سمية الهادي

أعمال موجهة : مفهوم النثر في التراث النقدي

كنا قد توقفنا في المحاضرة الموسومة بـــ : " مفهوم النثر في التراث النقدي " عند بعض الآراء النقدية التي قدمت لنا تصور النقد القديم لمفهوم النقد، وكذا الجوانب التي اهتم بها النقاد في دراستهم للمنثور، كالفنون و الأغراض النثرية، وخصائصها الفنية، و المفاضلة بين الشعر و النثر. وسنتوقف في هذا الدرس بشكل تطبيقي عند فنون النثر التي أخذت حيّزا معتبرا في كتب النقد القديمة ، وبإمكان كل طالب أن يختار نوعا من هذه الأنواع للبحث فيه، بشكل أعمق، والتفصيل في ما أفرزه النقد القديم من خصائص و مميزات له.

ونعني بالنثر الفني ذلك النثر الذي يدخل في باب النثر بحق، وهو النثر الذي يوليه صاحبه عناية خاصة من حيث الصياغة و الأداء الجميل، فيكون له بذلك أثر في نفوس المتلقين و السامعين، وهو بذلك مختلف عن النثر العادي المستعمل في الأحاديث التي يتخاطب بها الناس. ويتفرع إلى جدولين كبيرين هما الخطابة، والكتابة الفنية وهي تشمل القصص كما تشمل الرسائل الأدبية.

وبالعودة إلى العصر الجاهلي، نجد أن هذا النثر يلعب دورا مهما في حياة العرب آنذاك، فقد اهتمّ عرب الجاهلية بالتاريخ، وقصص فرسانهم، و أيامهم، ووقائعهم، وحروبهم، يقطعون بذلك أوقات سمرهم، حول خيامهم. وإلى جانب هذه القصص ترك لنا الجاهليون تراثا نثريا تمثّل في خطب، و أمثال، وسجع للكهان، ثمّ تطورت أشكال أخرى لهذا النثر مع العصور الإسلامية التالية و العباسيّ منها على وجه الخصوص كان أبرزها الرسائل و المقامات.

1- الخطابة: توافرت للخطابة أسبابها و دواعيها في العصر الجاهلي، ومن ذلك كثرة الخصومات، وما تنتهي إليه من حرب أو سلم. ووجود الأسواق يلتقون فيها فيتفاخرون ويتباهون بأنسابهم و أحسابهم. وكثرت الوفادة على ملوك الغساسنة و المناذرة، وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يتقدم لخطبة المرأة نيابة عن الراغب في زواجها سيّد من

عشيرته، فيعدّد خصال الخاطب، ويجيب رجل من قوم المرأة بمثل مقاله. وكانت هذه المناسبات مدعاة للخطابة، كما اشتهرت الخطب أيضا في مواطن الحرب و القتال، من ذلك خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني يحرض فيها قومه على القتال في يوم ذي قار، وخطبة قيس بن خارجة في إصلاح ذات البين إثر حرب داحس و الغبراء.

وكان الخطيب في الجاهلية سيّد قومه، أو أحد حكمائهم. وكان للخطباء تقاليد جروا عليها فكانوا يخطبون على رواحلهم، ويلوثون العمائم في المواسم العظام، ويشيرون بالعصي. ولقد تميّز عرب الجاهلية بالبيان و الطلاقة، و التحبير، و البلاغة، ودفعهم ذلك إلى الاحتفال(أي الاهتمام) بخطابتهم احتفالا شديدا. ومن الخطباء العرب الذين اشتهروا بالبيان و الفصاحة قس بن ساعدة، وهانيء بن فبيصة الشيباني الإيادي، عتبة بن ربيعة، وسهيل بن عمرو الأعلم، قيس بن الشماس.

2- الأمثال: خلف لنا عرب الجاهلية تراثا كبيرا من الامثال، وهي عبارات تضرب في حوادث مشابهة للحوادث الأصلية التي جاءت فيها، و قد اهتم علماء العصر العباسي بدراستها، وممّن سبق إلى ذلك المفضّل الضبي، و أبو عبيدة، وكذلك العسكري في كتابه" جمهرة الأمثال" و الميداني في كتابه " مجمع الأمثال"، وقد أكثر العرب من صنع الأمثال و ضربها في جميع أحداثهم، وشؤون حياتهم. ومن الأمثلة الشائعة عند العرب قديما: إياك أعني و اسمعي يا جارة، رُبّ عجلة تَهَبُ ريثا، رَمَتْني بِدائِها وانسَلَّت، مقتل الرَّجل بين فكَّيه، الحرُّ حرٌّ و إن مسَّهُ الضُّر. وممّن عُرف بكثرة الحكم و الأمثال في الجاهلية أكثم بن صيفي التميمي، وممّا نُسِبَ إليه من الحكم: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودّة، لو أنصف المظلوم لم يبق فينا مَلُوم. ولعلّ أهم ما يميّز الأمثال الجاهلية هو أنها موجزة، محكمة الصياغة، فيها ضرب من التنغيم الناتج عن السّجع.

3-الوصايا: والوصية خلاصة فكرية يكتسبها المرء من تجاربه في بيئته ومجتمعه، ويرتبط استخدام الوصية بإرادة الخير، و التوجيه إلى ما هو واجب من فضائل النفس و السلوك، وهي في مجملها تُصَوّر نظاما اجتماعيا يقوم على وحدة القبيلة وعلى ترابطها، ويمكن تقسيم الوصية بالنظر إلى من صدرت عنهم إلى قسمين:

أ -وصايا الحكماء والمعمّرين لبني قومهم، ومن هؤلاء أكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة الإيادي.

ب -وصايا الآباء للأبناء و أكثر هذه الوصايا قالها أصحابها في أواخر حياتهم، أو عندما حضرتهم الوفاة، ولذا فهي تتضمن خلاصة تجاربهم تساق في حكم ومواعظ. من ذلك وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد.

4- سجع الكهّان: كانت عند العرب في العصر الجاهلي طائفة تدّعي التنبؤ ومعرفة الغيبيات، و أنها تنطق عن آلهتهم بما سُخِّر لها من الجنّ التي تسترق لها السمع. ويبدو أن منزلة الكهان في الجاهلية كانت كبيرة، إذ كانوا يعتقدون أنه يُوحى إليهم، ولعلّ ذلك ما جعل نفوذ الكاهن يتجاوز قبيلته إلى كثير من القبائل التي تجاورها. ويذكر القدماء أسماء بعض كُهان الجاهلية، وبعض سجعهم، يقول الجاحظ مثلا: أكهن العرب و أسجعهم سلمة بن أبي حيّة، وهو الذي يقال له عُزى سَلِمة، من سجعه قوله: " والأرض و السماء، و العقاب و الضعفاء، واقعة ببلقاء، لقد نفر المجد بني العشراء للمجد و السناء".

وممّا يُلحظ على سجع الكهان أنهم كانوا يعمدون إلى القسم ببعض أشياء الطبيعة و مظاهرها وفي ذلك ما دلّ على اعتقادهم في هذه الأشياء و أن بها قوى و أرواحا خفية، كما يُلحظُ قِصرُ الجمل، واستخدام اللفظ الغريب ليتيح لهم ذلك ما يريدون من الوهم.

5- المقامة: وهي قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني، مكدّ ومتسوّل، لها راو بطل وتقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبية، أو مسألة دينية، أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لونا من ألوان النقد، أو الثورة أو السخرية، وضعت في إطار من الصنعة اللفظية و البلاغية. ومن أمثلتها مقامات بديع الزمان الهمذاني.

وقد توقف النقاد قديما عند هذه الأنواع و فصّلوا في خصائصها ومختلف مميّزاتها الفنية، فاهتم الجاحظ مثلا بالخطابة و شروطها، وذكر بعض خطباء العرب قديما كما أورد في كتابه البيان و التبيين نماذج لخطب شهيرة، كما اهتم محمد بن عبد الغفور الكلاعي في كتابه" إحكام صنعة الكلام " بالنثر و أغراضه وفصل في خصائص كلّ غرض.

و بإمكان كل طالب أن يبحث في نوع من هذه الأنواع النثرية، ويفصّل في الجوانب الفنية و الخصائص التي حدّدها النقاد لهذا النوع، بالإعتماد على المراجع الآتية:

1- تاريخ الأدب العربي لــ : شوقي ضيف (جميع الأجزاء).

2- الفن ومذاهبه في النثر العربي لــ: شوقي ضيف.

3- البيان و التبيين لــ : الجاحظ.

4-الإمتاع والمؤانسة لــ: أبي حيان التوحيدي.

5-نضرة الإغريض في نصرة القريض لــ: المظفّر بن الفضل العلوي.

6-إحكام صنعة الكلام لــ: محمد بن عبد الغفور الكلاعي.

7-النثر الفني في القرن الرابع لــ : زكي مبارك.